المؤتمر الدولي الثاني للغة العربية، دبي

توظيف الحوار الداخلي في الرواية الفلسطينية المقاومة (رواية الصبار نموذجاً)

ـ نعيمه پراندوجی: طالبة الدكتوراه بجامعة تربيت مدرس[1]- طهران

ـ دكتورة كبرى روشنفكر، استاذة مساعدة بجامعة تربيت مدرس- طهران[2]

الحوار الداخلي خطاب أو مناجاة الشخصية مع نفسه عبر التداعيات والإسترجاعات والإستباقات الزمنية القريبة والبعيدة، ويستخدم الكاتب هذا النوع من الحوار للكشف عن بواطن الشخصية أو أفكارها الخاصة والتناقضات الفكرية والداخلية للشخصيات الروائية.

الرواية الفلسطينية المقاومة قد استطاعت أن تواكب الحوادث الكبرى في المجتمع الفلسطيني المحتل وترسم قضايا المقاومة من خلال عدد كبير من الروايات المثيرة. منها رواية الصبار لسحر خليفة التي تصور الكاتبة فيها المجتمع الفلسطيني بعد هزيمة 1967 بكل أبعادها وقضاياها وجوانبها المختلفة.

تقوم هذه المقاله بدراسة الرواية، معتمداً على المنهج الوصفي ضمن تحليل الحوار الداخلي في الرواية؛ بما أن الرواية ترسم الخلاف الموجود في المجتمع الفلسطيني بعد هزيمة 1967 كانقسام المجتمع إلى حزبين متناقضين بين من يؤمن بالكفاح المسلح لإخراج العدو المحتل والحزب المؤمن بالمقاطعة السياسية مع إسرائيل، فإن الراوي لترسيم هذا الخلاف وكشف بواطن الشخصيات وأفكارهم كثيراً ما يوظِّف الحوار أو يلجأ الي المونولوج الداخلى، بحيث يجد القارئ عند تحليل الحوار الداخلي في الرواية، التضاد الموجود في المجتمع الفلسطيني بما فيها جدلية العمل في المؤسسات الصهيونية، والأبعاد المختلفة للإحتلال الصهيوني الغاشم .

قد وفَّق الراوي في استخدام الحوار الداخلي وقدرسَّم مستمداً منه تصويراً دقيقاً ومؤثراً من الأوضاع المتوترة للنضال في الأراضي المحتلة.

الكلمات المفتاحية: الحوار الداخلي، الرواية الفلسطينية، سحر خليفة، الصبار

[1] n_parandavaji@yahoo.com

[2] tahminehro@yahoo.com

1. مقدمة

يؤكد العديد من النقاد والباحثين أن فن الرواية يختلف عن الفنون الأدبية الأخرى، لأنه الوحيد بينها القادر على مواكبة المتغيرات الكبرى وتسجيل الأحداث الأكثر أهمية في تاريخ الأمم والشعوب والأفراد وإن النص الروائي يستطيع الغوص في أعمال الذات الفردية والجماعية، وعلى هذا الأساس اعتُبر من الفنون الأكثر صعوبة التي لا يفيد فيها الإبتكار والذكاء وحدهما، فلابدَّ من الدراسة المتأنية والتبصُّر في مجالات الحياة التاريخية والإجتماعية والإقتصادية والنفسية ... المحيطة بالحدث المراد التعبير عنه روائياً، لذلك اعتبر الروائي كأنه يقوم بدور المؤرخ والعالم النفسي والمحلّل الاجتماعي ... في آن واحد، ولهذا عمِّرت روايات كثيرة على رغم مرور عشرات السنين على تأليفها، وما زالت إلى الآن معاصرة في تعبيرها مع تقادم العهد بالحدث الذي صورته. (فضل الله، (2009): 488)

إن الرواية الفلسطينية المقاومة قد وفقت في مواكبة الحوادث الهامة في الوطن المحتل وقد سجلت روايات الروائيين والروئيات الفلسطينيين الحوادث الهامة والمصيرية في الوطن المحتل. من هذه الحوادث الهامة والمصيرية في حياة الشعب الفلسطيني والعالم العربي والإسلامي كلها يمكن الإشارة إلى هزيمة 1967 التي "بعد ذلک خضع معظم المتبقّين من الشعب الفلسطيني للاحتلال العسكري الاسرائيلي، وإثر هذه الهزيمة تمت سيطرة إسرائيل على الضفة الغربية وغزّة إضافة إلى القدس واحتلالها. (سعيد، (2006): 41) بعد هذه الهزيمة حاول الكتاب الفلسطينين في خارج فلسطين وداخلها تصوير هذه النكسة وآثارها في آثارهم الأبية شعراً ونثراً. ومن هذه الآثار في مجال النثر يمكن الإشارة إلى رواية "الصبار" للكاتبة الشهيرة الفلسطينية "سحر خليفة".

إن هذه الرواية تجسد أثر هزيمة حزيران عام 1967 في حياة الشعب الفلسطيني. إن من المسائل الهامة التي سببت هذه الهزيمة، هي انشقاق الشعب الفلسطيني إلى حزبين مختلفين، ومتناقضين حول كيفية المواجهة مع العدو الغاصب. حزب يؤمن بالكفاح المسلح مع العدو الصهيوني، وحزب يعتقد بالمقاطعة السياسية لإخراج العدو من فلسطين. إن الكاتبة لترسيم هذا الإنشقاق والخلاف الموجود في المجتمع الفلسطيني كثيراً ما قد لجأت إلى الحوار الداخلي في الرواية. لأن الحوار الداخلي تعد طريقة جديدة في تحليل النص الروائي ،وفهم مضامينه، وأبعاده المختلفة. بحيث يساعد القارئ فى النفاذ إلى جوهر النص الأدبى، وفهم أهدافه، وغاياته. هذا الأسلوب وليدة العصر الحديث، والهدف الرئيس من هذا المقال هو التوصل الى معرفة مهام الحوار الداخلي في رواية "الصبار"، ونسبة إفادة الرواية من الحوار الداخلي بوصفه عنصراً تعبيرياً له أهمية كبيرة في بناء الخطاب السردي الروائي.

يحاول هذا المقال الإجابة إلى هذا السؤال: كيف وظّف سحر خليفة الحوار الداخلي في الراوية لكى يرسم الخلاف الموجود في حياة الشعب الفلسطيني؟

إن سحر خليفة قد جاءت بالحوار الداخلى من قبل "أسامة" ممثل، ومؤمن بالكفاح المسلح، و"عادل" ممثل، ومؤمن بالمقاطعة السياسية مع العدو الغاصب لكي ترسم الخلاف الموجود في المجتمع الفلسطيني.

1.1.منهج البحث

يدرس هذا المقال عن طريق المنهج الوصفى ـ التحليلى، وفي ضوء تحليل الحوار الداخلي للرواية، أثر هزيمة 1967 في حياة الشعب الفلسطيني، لكي يرسم تصويراً دقيقاً من الحياة الفلسطيني، وأبعادها الإجتماعية، الثقافية، الإجتماعية، و ... المختلفة. لأن الحوار الداخلي مصدر هام لفهم المسائل السياسية، والإجتماعية، والأقتصادية، والثقافية الموجودة في مجتمع ما. قبل أن نبدأ بالبحث، في البداية نأتي بنبذة عن حياة سحر خليفة، وآثارها الأبية، ثم نعرّف رواية "الصبار" ومضمونه وغاياته الأبية.

2. نبذة عن حياة سحر خليفة وآثارها

قاصة فلسطينية سحر عدنان خليفة ولدت في مدينة نابلس سنة 1941م. حيث تلقت دراستها الإبتدائية، والثانوية، وتابعت دراستها الجامعية في جامعة بيرزيت بالضفة الغربية متخصصة بالأدب الإنجليزي. حصلت على شهادة الماجستير في الأدب الإنجليزي، والدكتوراه في دراسات المرأة من جامعة إيوا بالولايات المتحدة الامريكية. (زيدان، (1990): 236) وأصبحت معروفة في مدينتها بسبب موقفها من موضوع تحرير المرأة. وتزوّجت في سن مبكرة زواجاً تقليدياً، وبعد مرور ثلاثة عشر عاماً من الإحباط وخيبة الأمل قررت أن تتحرر من هذا الزواج، وتكرّس حياتها للكتابة. (الجيوسي، (1997): 229) إنها قد ألفت العديد من الروايات حول الأدب المقاوم الفلسطيني بحيث أصبحت رواياتها معروفة في مجال الأدب العربى، والعالمي. إنها حتى الآن ألّفت عشر روايات هي: "لم نعد جواري لكم" (1974، و"الصبار" (1976)، و"عباد الشمس" (1980)، و"مذكرات إمرأة غيرواقعية" (1986)، و"الصبار" (1990)، و"الميراث" (2002)، و"صورة أيقونة وعهد قديم" (2002)، و"ربيع حار" (2004)، و"أصل وفصل" (2009)، و"حبي الأول" (2010).

من اللافت للنظر أن غالبية روايات سحر خليفة ترجمت إلى أكثر اللغات العالمية، ولكن من الملحوظ عن أعمالها الأدبية هي ترجمة أعمالها الروائي إلى الألمانية، واهتمام الدارسين الألمان إلى هذه الراوئية. (الأسطة، (د.ت): 4) لقد نقلت نصوص سحر كلها، باستثناء رواية "لم نعد جواري لكم" الى الألمانية، وقد ترجمت روايات سحر خليفة إلى اللغات الإنجليزية، والإيطالية، والمالزية، والفرنسية وألخ.

فتعدّ روايات سحر خليفة جديرة بالدراسة، والترجمة لما تحمله من مضامين إنسانية، وحضارية، وعالمية مثل المقاومة، والاحتلال، وتحرير المرأة، وغير ذلک من الموضوعات، والقضايا التي تهم شعوب العالم. فليس من العجيب إذ تأتي إبداعاتها في المرتبة الثانية من حيث الترجمة بعد نجيب محفوظ، وغسان كنفاني. (أبوبشير، (2007): 272)

وفي عملها الروائي تعبّر سحر خليفة عن إيمانها العميق بأن وعي المرأة النسوي هو جزء لايتجزأ من وعيها السياسى، وهي ترينا في رواياتها، وبأسلوب فنّي مقنع، أن نضال المرأة الفلسطينية، والمحن التي تمرّبها هي جزء من النضال الفلسطيني العام من أجل التحرّر. أسلوبها الروائي حساس، ومقتصد وشفّاف؛ ورغم أنها تكتب بالعربية الفصيحة، فإن لها قدرة عجيبة على استعارة العاميّة الفلسطينية وتعبيراتها الدارجة عندما يقتضي حال الحوار في الرواية. (الجيوسي (1997): 229)

ولقد كان ظهور روائية في الضفة الغربية، هي سحر خليفة، حدثاً رحّب به الجميع. إن سحر خليفة كاتبة لا يجاريها فلسطيني آخر ممن كتبوا في مقدرتها على استحضار الإيقاعات واللهجات، والمفردات، وأنماط التفكير عند مختلف طبقات الفلسطينيين من أهالي المدن، العمال البسطاء منهم، والمثقّفين على حد سواء. وتكشف سحر خليفة عن قدر كبير من الذوق الفني بتنويعها للغة حسب مكانة الشخصية التي تصوّرها، ومستواها التعليمي. أما وصفها لحياة شخصياتها، في منطقة نابلس (مسقط رأسها)، حيث تعيش الشخصيات عادة فيما بينها، فهو وصفٌ ينبض بالحياة، وينطبق على الواقع بكل تفاصيله، ولكنه في الوقت ذاته يتم بطريقة فنية تحافظ على الإيجاز، والتوتر الضروريين لنجاح العمل الأدبي.. وتركّز سحر خليفة على قضيّتين أساسيتين: هما الكفاح الفلسطيني، وكفاح المرأة من أجل التحرر. (جيوسي، مقدمة "الأدب الفلسطنيني" في العصر الحديث، وفا وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطنية)[3]

3. رواية الصبار

نشرت سحر خليفة رواية "الصبار" بعد هزيمة حزيران (1967)، وقد عالجت فيها أثر هذه هزيمة في حياة الشعب الفلسطينى. وكشفت عن مختلف جوانب حياتهم الفردية، والإجتماعية، والمشاكل التى تعاني منها الشعب الفلسطيني من الفقر، والجوع، والبطالة و ... .

يبدأ الرواية بعودة "أسامة الكرمي"، بعد غياب دام خمس سنين عن الضفة، منذ أن احتلت عام 1967.إنه قد رجع إلى الضفة الغربية لإنجار المهمة، وهي تفجير باصات العمال الفلسطينيين الذين يعملون في إسرائيل.ترسم هذه الرواية صورة الانقسام السياسي الفلسطيني بين من يؤمن بالعمل المسلح سبيلاً للتحرر، ممثلاً في شخصية تدعى "أسامة" الذي أرسلته قيادة الخارج لتفجير باصات نقل المعال الفلسطينين للعمل داخل إسرائيل، وبين من يؤمن بالمقاطعة السياسية والمنهج السياسي للنضال، وتكوين طبقة برولتاريا (طبقة العمال)، وتنظيمهم داخل المصانع الإسرائيلية، متمثلا في شخصية تدعى "عادل" سليل الأسرة الإقطاعية. فهو ابن العائلة التي تعاني الفقر الآن، فاتجه للعمل في إسرائيل سراً، تجنباً لردود الفعل الإجتماعية لاسيما من

[3] http://www.wafainfo.ps/atemplate.aspx?id=2482

قبل عائلته، وكان يحاول دائما تحريض العمال للمطالبة بحقوقهم و"رفض الفعل المؤسسي" (عزم، روايات سحر خليفة إضطهاد المرأة الفلسطينية)[4]

إن سحر خليفة، كتبت هذه الرواية رداً على استفزاز الكاتب أحمد بهاء الدين في حينه، وقد هاجم العمال الذين يعملون بإسرائيل. (نجم، (1996): 62) وإن الكاتبة، في هذه الراوية تدرس هذا الموضوع وتصل إلى هذه النتيجة إن العمل في إسرائيل قد فرض لمعال الفلسطينيين لسبب شيوع الفقر، والجوع، والبطالة في فلسطين بعد هزيمة 1967. وسحر خليفة لترسيم هذا النتاقض الموجود بين "أسامة" و "عادل" كثيراً ما تلجأ في الراوية الى أفكار الشخصيات وخلجانات نفوسهم و تستمد من الحوار الداخلي في الراوية.

4. الحوار الداخلي

الحوار، جزء أساسي من الأسلوب التعبيري في القصة، وهو صفة من الصفات العقلية التي لا تنفصل عن الشخصية بوجه من الوجوه ، ولهذا كان من أهم الوسائل التي يعتمد عليها الكاتب في رسم الشخصيات، فبواسطته تتصل الشخصيات بعضها بالبعض الآخر اتصالاً صريحاً ومباشراً. ((السابق) 96) مما يسهم في إبراز حقيقة تلك الشخصيات بشرح مواقفها ، وكشف طرائق تفكيرها، و "استجلاء عمق الأشياء، والغوص في أعماق الوجود، ومظاهر الصراع"(برادة، (1996): 80) هناك تعريفات عديدة للحوار، فكل ناقد أو دارس يعرّفه حسب رأيه، أو طريقته في الدراسة أو منهجه النقدي، لذا سنعرض جملة من هذه التعريفات:

الحوار عبارة عن"صفة عقلية تمنح الشخصيات هويتها الفكرية ،والنفسية، والمنفردة، التي تميزها عن غيرها من الشخصيات داخل العمل الواحد".(الزجاجي، (1980): 167) أو هو "وسيلة يستخدمها القاص في تكوين الشخصية ،والتعبير عن آرائها و نظراتها الى الحياة، وهو أيضاً عامل مهم في تصارع الشخصيات" (العامري، (2000): 101)

ينقسم الحوار في النص الأدبي، والراوية إلى الحوار الخارجي، والحوار الداخلي. وفي هذا المقال ندرس الحوار الداخلي في رواية "الصبار"، ولذلک في البداية، نهتم بتبيين مفهوم الحوار الداخلي وتعريفه و تبيين وظائفه في الرواية.

الحوار الداخلي "ويُسمّى أيضاً الحوار مع الذات أو مع النفس"، (عبيد حسن، (2004): 57) وهو عبارة عن إدخال القاريء مباشرة في الحياة الداخلية للشخصية، من دون أي تدخل من جانب الكاتب بالشرح والتعليق ... وبأنها التعبير عن أخص الأفكار التي تكمن في أقرب موضع من اللاشعور. ويتم من خلال الحوار الدخلي تصوير العالم الداخلي للشخصيات الذي يمور بمشاعر وأحاسيس متنوعة.

[4] http:// www. awu-dam.org

1.4. توظيف الحوار الداخلي في رواية "الصبار"

قد استعملت سحر خليفة، كثيراً من الحوار الداخلي في رواية "الصبار"، لأن هذه التقنية، تتيح الفرصة للشخصيات لكي تتحدث عن أنفسها، فتكشف بوضوح، وصراحة عن عالمها الداخلي، وموقفها من الآخرين، والعالم المحيط بها. ونشاهد في رواية الصبار يلجأ كل من "عادل" و"أسامة" ممثلان التياران المتناقضان في فلسطيين، إلى الحوار الداخلي لكي يتهم كل واحد، الطرف الآخر بسبب موضعها السياسى حول المقاومة، وكيفية تعامله مع العدو الغاصب.

ويعد هذا الأسلوب، من أكثر الأساليب السردية انتشاراً في الروايات المعاصرة ذات الطابع النفسي. وهو أسلوب يختفي فيه صوت السارد تماماً، وتظهر أفكار الشخصيات مباشرة دون وسيط، لتعلن عما يدور في ساحة الذاكرة أو الذهن أو الوعي من صور وأفكار وهواجس، بطريقة مسرحية خالصة. (كردى، (2006): 223)

نشاهد أن معظم الحوار الداخلي في الرواية، يتعلق بشخصية "أسامه" وترديده حول انهدام باصات العمال في إسرائيل، كيفية إقناع عادل لكي يكف عن العمل في إسرائيل و يساعده في تفجير باصات العمال الفلسطينيين في تل‌أبيب و ... وهذا النوع من الحوار قد جاء في الصفحات (18، 26، 56، 71، 68، 76، 77، 78، 79، 136، 137، 152، 153، 155 و ...) من الرواية. وأيضاً كثيراً من الحوار الداخلي يتعلق بشخصية "عادل الكرمي"، إنه في كثير من الأحيان يلجأ إلى ذهنه ويخاطب نفسه ويحدّث مع نفسه حول مشاكله التي تعاني منها في الحياة وفي حواره الداخلي يتحدّث حول مرض أبيه، واشتغاله في إسرائيل، و تركه المزرعة و.... الحوارات التي قد جاءت في صفحات (53، 54، 63، 90، 91، 162، 163، و ...) تصور هذا الموضوع. قسم من الحوار الداخلي في الرواية، يتعلق بشخصية "باسل" المناضل المراهق الذي يؤمن بالكفاح المسلح مع العدو الغاصب، ويسجن في السنين الأولى من حياته، وبعد خروجه من السجن يواصل مناضلاته مع العدو الغاصب بصورة جدية، ويشارک مع "أسامة" في تنفيذ مهمته، وتفجير باصات العمال، وإنه يختبأ في منزله عبوات المتفجرات، وكان يخاف أن يكشف جنود إسرائيل هذه المتفجرات لإن اكتشافها في بيته، يؤدي إلى تدمير بيته من قبل إسرائيل. لهذا يلجأ إلى نفسه ويخاطبها: "ولم يكلف باسل نفسه عناء الرد. كان يفكر. ماذا لو اكتشف اليهود أمر القبو؟ فليكتشفوا، آمل أن يكشفوا، وينسفوا هذه الدار فوق رأسک، ورؤوسهم جميعاً، فهم جبناء، عديمو القيمة. سأهرب ... سأنضم "لطريدي العدالة" أمثال أسامة. (خليفة، (السابق): 167) هذه المسائل تؤدى أن تلجأ باسل إلى أفكاره، ويناجي مع نفسه. قسم من الحوار الداخلي في الرواية، يتعلق بشخصية زهدي، العامل الذي يعمل في إسرائيل، ويعتقد إن العمل في إسرائيل قد فرض على العمال الفلسطينيين، ولاحيلة لهم إلا العمل في إسرائيل، لأن إسرائيل قد دمّرت المزارع الفلسطينيين، ولايوجد فرصة للعمل في فلسطين ولايليق بالشعب في خارج فلسطين أن يلوم الشعب الفلسطيني بسبب اشتغالهم في إسرائيل، لأن لا مجال، لا حيلة لهم إلا أن يعملوا في اسرائيل. حوار زهدي مع نفسه الذي قدجاءت في صفحات (92، 93، 102، 106، 110، 123، و ...) من الرواية يؤيد هذا الموضوع.

مع التعمق في هذه الحوارات الداخلية، يمكننا أن نصل إلى الخلاف الموجود في المجتمع الفلسطيني حول كيفية المقابلة مع إسرائيل، وإلى المسائل السياسية، الإجتماعية، الإقتصادية، والثقافية التي تلت عقب هذه الهزيمة. علاوة إلى انشقاق فلسطين إلى حزبين متضادين، شاع في المجتمع الفقر، والجوع، والحرمان، والبطالة، وضاعت فرص العمل في المجتمع واضطر الشعب الفلسطيني للاشتغال في إسرائيل لكي يوفّروا معيشتهم ومعيشة أسرتهم.

مع الامعان في هذا الخلاف ندرک إن "تحرر الوطن المحتلّ أمنية لن تتحقق مع وجود الخلافات الداخلية، والحزبية، بل تتطلّب مساهمة جماهير واسعة من الشعب، وتحتاج إلى التضامن، والمشاركة، والعمل الدؤوب. فلا موضع للتجنب إذ نرى أسامة يشكو من تفرّق الناس، وشتات قلوبهم، بعدما يرجع إلى الوطن، ويتدفق في أحوال الناس، ويرى أن إسرائيل خيّم على البلد، وحتى البضائع أصبحت إسرائيلية" (شريف عسكري، (1390): 75)فيحدّث نفسه، ويشكو من الانفراد:

ـ "... وكيف يهدأ القلب الموجع! مراجل الغضب تغلي فى شتى بقاع الارض. وهذه الأرض تموت من شدة الصقيع. الأرض جريمة نحن مرتكبوها. والشعب: خدعة. مقلب شربناه. شرية تجرعناها وحسبت علينا قضية. وحسبت علينا ثورة. اليد الواحد لا تصفق. وأنا واحد. أنا واحد!" (خليفة، السابق، 24).

أسامة، قد رجع إلى فلسطين بعد غيابه الذي غرق خمس سنوات، وإنه قد جاء لكي ينجز مهمتة السياسية وهي تفجير باصات العمال الفلسطينين الذين يعملون في تل أبيب، ومعامل إسرائيل. وإنه يؤمل أن ينجز مهمته مع مساعدة عادل. ولكن بعد دخوله إلى فلسطين يجد عادل بين هؤلاء العمال الذين يعملون في إسرائيل. في ذلک الحين يتهم عادل بالغفلة من الوطن وإهمال قضية الإحتلال. ويعاني من الخلاف الموجود في المجتمع، ويعلم إن الانتصار أمام العدو يحتاج إلى تحالف الناس، وتضامنهم أمام العدو.

أما عادل، يتهم أسامة إلى ترک الوطن، والغفلة من المسائل التي تلت عقب هزيمة حزيران، و منها شيوع البطالة، والجوع، والفقر، و ما إلى ذلک في المجتمع. بسبب هذه المشاكل أرغم الشعب الفلسطيني للمعل في أسرائيل.

من مهمات الحوار الداخلي، رفع الحجاب عن مشاعر الشخصيات، وأحاسيسها، وعواطفها، وشعورها تجاه الأحداث، والشخصيات الأخرى. القطعة الحوارية في العبارة التالية، تكشف عن مشاعر أسامة، حول عادل وكيفية تفكير عادل حول نفسه:

ـ "أعرف يا عادل بماذا تفكر. أعرف. تتهمني بالبرجزة. سبحان مغير الأحوال. لميبق إلّا أنتعيرنى بالبنطلون والقميص المكويين كما فعل بائع الخبز. أهذا ما يسمونه بالإنسلاخ الطبقى؟ لا لا، الإنسلاخ الطبقى لايكون بالفكر فقط. أما وضع عادل فهو إنحدار وأي انحدار" (السابق، 68).

بعد أيام، وأسابيع، يعلم أسامة إنه لا يستطيع أن يقنع عادل لكي يرافقه في إنجاز، وتنفيذ مهمته، ييأس، و يتهم عادل، وزهدي، والعمال الآخرين الذين يعملون هناک، ويبدأ يصارع صراعاً داخلياً مريراً، ويتحدث مع نفسه:

"ماذا يريد هؤلاء؟ أن يعيشوا الرفاهية في ظل الإحتلال؟ أهذا مفهومهم للوطنية والقومية؟ زهدي اللعين يعرف بأن كلمة عرافيم تعني لصاً قذرا وخنزيرا ابن قواد. ورغم هذا مازال يعمل هناك ويدافع عن نفسه بالشتائم. والتهديد الوحيد الذي يملكه هو الهجرة. أي جهل! يجب أن يتلقي زهدي وشحادة وأمثالهما درسا لا ينسونه قط" (السابق: 75)

والعبارة التالية قد صورت يأس أسامة من إقناع عادل لمرافقته في انجاز مهمته:

"أمن السهل إقناعه التخلي عن موقعه الحالي وهو مندمج فيه بكل هذا الحماس؟ ليشكا وشالوم واسلخلي. يا لها من حضارة، يا لها من ورطة. كفٌ عن هذا يا عادل وارفع رأسك. مرض. غبار. عدم وضوح في الرؤية. للصورة أكثر من بعد واحد، بعد الهزيمة و الإحتلال. إحتلال هذا أم انحلال؟ سيان يا بلدي سيان. وهذا الشعب يهزمني أكثر من إسرائيل. يا صبر أيوب. علينا أن ننتظر طويلاً حتى يكبر الأولاد. جيفارا لم يمت يا شيخ. مازال معي في هذا القلب. فلسطين في القلب يا نيرودا. في بؤبؤ العين في لبِّ الحياة. ولن تغوص البلد. سيبقي فيها أناس يؤمنون بالمستحيل (السابق، 71).

إن الحوار الداخلى الذي قدجاء في العبارة السابقة، يتعلق بأسامة الذي قد جاء لتنفيذ المهمة، وهي تفجير باصات العمال الفلسطينين في إسرائيل لكي لا يعملوا في إسرائيل. إنه يتهم عادل، وأمثالهم، ويلومهم بسبب العمل في المؤسسات الصهيونية. ولكن إنه قد ترك الفلسطين أكثر من خمس سنوات، ولايعلم المسائل التى قد جرت في فلسطين خلال سنوات غيابه من الوطن المحتل. إنه بخلاف عادل، يعتقد إن للصورة بعد واحد، وهو بعد الهزيمة، والاحتلال، والحل الموحيد لها هي المناضلة المسلحة مع العدو الغاصب. .لهذا يخاطب جيفارا، ونرودا اللذان يعدان أسوة المقاومة، والمناضلة في كوبا وشيلي. ويناجيهما. لكي يحثّ الناس إلى المقاومة، والمناضلة مع العدو الغاصب.

في كثير من الأحيان نشاهد إن عبارة واحدة تكرر أكثر من مرة في الرواية، ومن هذه العبارات نستطيع أن نشير إلى هذه العبارة" "للصورة أكثر من بُعد واحد" (السابق، 28)إن عادل يعتقد إن قضية الاحتلال لا ينحصر في بُعد واحد، وهو الاحتلال العسكري، بل للقضية، والاحتلال أبعاد مختلفة " ويشمل الثقافة، والسياسة، والاجتماع، والاقتصاد، وكل ما يملكه الشعب الفلسطيني من الماديات، والمعنويات. فيرى وجوهاً مختلفة للاحتلال، ويعتقد أن للمقاومة أمامه أيضاً طرقاً مختلفة". (ميرزايى، 21010: 60) ويجب على الشعب الفلسطيني أن يتسلح بالأسلحة المختلفة لكي يواجه العدو الصهيوني. والكفاح المسلح الوحيد لايفيد في مواجهة العدو، بل يجب على الشعب أن يواجه العدو مع الخطط الثقافية، والاجتماعية، والسياسية و ... لكى يستيطع إخراج العدو الغاصب من وطنه. ولكن أسامة يعتقد إن للاحتلال بعد واحد، وهو بعد الهزيمة . هذه الجملة تشير إلى الخلاف الذي يوجد بين أسامة ،وعادل حول مسألة الاحتلال، والمقاومة، وكيفية مواجهتها بالكفاح المسلح أو المقاطعة السياسية. ولهذا السبب نشاهد إن هذه العبارة تكرر في أكثر من موضع الرواية. وإن عادل في موضع آخر يقول:

"...الإحتلال! كلمة لها أكثر من معنى. والنفي! واقع نعايشه فى لب الوطن والتعذيب! هواية يحترفها قوادو السياسة في هيئة الامم. وغوصي يا بلدي فى الأوحال، لنقل على الأرض السلام" (خليفة، *السابق*، 53).

عادل، يعتقد إن للاحتلال معاني مختلفة، ومنها يكمن أن نشير إلى النفي والإخراج من الوطن، وتعذيب الناس الذين يعيشون في داخل الوطن، والإدعاءات الكاذبة التي يدعيها قوادوا السياسة في هيئة الأمم حول الشعب الفلسطيني المظلوم وكل هذه الأدعاءات تكون حبراً على الورق.

قسم من الحوار الداخلي في الرواية، يتعلق بشخصية عادل الذي يمثل التيار المؤمن بالمقاطعة السياسية مع العدو الغاصب. إنه يعمل في مؤسسات إسرائيل مع العلم بأن إسرائيل قد سبب في تدمير مزرعته، لأن الشيوع البطالة، والصعوبات الاقتصادية التي يواجهها الشعب الفلسطيني أرغم الشعب لكي يعملوا في المؤسسات الصهيونية. وإن الحوار الداخلي التالي الذي قد جاء بلسان عادل، يصور لنا قسم من المشاكل التي يواجهها الشعب الفلسطيني في داخل الأراضي المحتلة:

... "إيده اليمين. إيده الشمال. أي شيء في العالم أحسن من مغص الكلاوي. أية عاهة. أي مرض. أي آفة. أي شيء أحسن من مغص الكلاوي. تسمّم الدم. تورّم الأنسجة. تشقق الجلد وعبودية الآلة. أية حياة! أي موت! موت بطيء لا يقوى البنك العربي بكل فروعه على تسديد تكاليفه. فما بالك بمزرعة خلت من العمال والفلاحين! حتى شحادة هجرها. لميبق في الأرض إلا الشيخ والكلب. وغدا يموت الشيخ ويبقي الكلب. والوالد يمتزج بوله بدمه. وأنا عبد الأفواه والآلة. وأسامة يبحث فى عيوننا من ومضة خجل. وغوصي يا بلدي في الأوحال. لنقل على الأرض السلام!" (السابق: *53*).

بعد أن قطعت أصابع أبوصابر في المصانع الإسرائلية، يخاطب عادل نفسه، ويحدث مع نفسه. لأنه وحيدٌ في همومه، ومشاكله، ولا يستطيع أن يتحدث مع شخص، لهذا كثيرا ما يلجأ إلى الحوار الداخلي بحيث يلمس القاريء من هذا الحوار الداخلي، المشاكل التي يواجهها عادل. إنه في خلجانات نفسه يقول: إن المشاكل التى يعاني منها لايساوي مع مشاكل أي شخص في فلسطين، لأن مرض أبيه لايساوي مع مرض أي شخص في العالم، وكل أمراض العالم أحسن من مرض أبيه. لأن معالجة هذا المرض يتطلب تكاليف باهضة بحيث بنوك العربي لا يستطيع أن تدفع ثمنها. هذا يشير إلى المشاكل الإقتصادية التي تعاني منها الأسرة الفلسطينية، بحيث إنهم لا يستطيعون أن يدفعوا ثمن معالجة أمراضهم. وفي هذه الأحيان، وبسبب المشاكل المالية لا يستطيع عادل أن يدفع أجوراً كافية للعمال في المزرعة، ولهذا السبب خلت المزرعة من العمال، وحتى شحادة الذي قد ولد، وكبر فيها تركها، وإنه أرغم أن يعمل في إسرائيل لكى يدفع ثمن معالجة الأب، وتكاليف الأسرة اليومية. هذه المشكلة تعد من المشاكل التي تواجهها الأسرة الفلسطينية بعد حرب 1967. والعمال لابد لديهم إلا العمل في تل أبيب، وفي هذه الظروف يبحث أسامة ومضة الخجل في عيون الشعب الفلسطني. إن القاريء يفهم إن العامل الفلسطيني، أجبر لكي يعمل في إسرائيل لكي يدفع تكاليف حياته،

وحياة أسرته اليومية. إن السارد لترسيم هذه المشاكل في حياة الشعب الفلسطيني كثيراً ما قد لجأ إلى الحوار الداخلي، واستفاد من هذه التقنية، من خلال النفاذ إلى أفكار عادل.

وهذا يشير إلى إن فلسطين في إذهان العرب في خارج فلسطين "مجرد قضية، أو مشكلة، وشعبها مجموعة من الناس تعيش حالة من الحرب أو المطاردة أو الغربة. أما الكاتب الفلسطيني فأنه يصور القضية من خلال الناس، والمجتمع، الحياة اليومية وما فيها من هموم وحاجات صغيرة قد تزاحم الأهداف الكبيرة، وقد تشغل الناس عنها، فلايتذكرونها بوعي إلا حين تستجد أزمة أو تحدث صدمة. (عبدالله، (1989): 247)

الحوار الداخلي الآخر في الرواية، يتعلق أيضا بعادل الكرمى، إنه في زمن تخريب بيته يصارع مع نفسه، ويجادلها لكي يأخذ أو لا يأخذ آله الكلية للوالد. وإنه يعلم إن يخرج آلة الكلية،يعيش الأب أكثر من هذا، وإن تداوم حياة الأب تضيع حياة سائر أعضاء الأسرة. وإن لا يخرج آلة الكلية يموت الأب. إنه لا يدري ماذا يعلم، أخذ آلة الكلية أم لا. هذا الصراع الداخلي قد يسبب لكي يلجأ عادل الى الحوار الداخلي مع نفسه ويناجي نفسه. إنه في النهاية لا يخرج آلة الكلية للأب.

"الآلة، كلية الوالد. هل أقول للضابط؟ سيؤخرون النسف بضع دقائق ريثما أخرجها ..... وتقتل رجلا؟ تقتل والدك! الرجال دائما يقتلون. لو بقي هو نحن نموت ... أنا ونوار و الأطفال. ألا يكفي ما فقدناه؟ أسامة، باسل و ميراث الأجداد؟ دفاعا عن النفس، دفاعا عن الحق في الحياة الكريمة. دعه يموت. بل دعه يعيش. أنقذه تنقذ روحك من دمار الجريمة" (خليفة، السابق، 173).

إن هذا الحوار الداخلي، قد سبب أن يصارع القاريء مع نفسه. وإنه كعادل لا يعلم أي عمل صحيح إخراج آلة الكلية، أم عدم إخراجه؟ أي عمل صحيح، وإنساني؟. إن عادل، واسمه يحمل دلالة إنسانية في الرواية. ويتجلى لنا هذه الدلالة حين يحمل عادل الضابط الإسرائيلي الذي أصيب بيد أسامة، حاملاً إلى كتفه إلى المستشفى آملاً لكي يفتح عمله هذا الآفاق أمام الشعب الفلسطيني، ويتسع أنسانيته. ولكن الكاتبة لم تستطع تجسيد هذه الصفة الإنسانية لعادل عبر مواقف أو ممارسات الشخصية، "كيف يكون "عادل" حاملاً لأروع الصفات الإنسانية، ومحتملاً أعتى المسؤليات ثم نجده يرفض إنقاذ والده بإنقاذ الآلة التي يستخدمها في العلاج، فيسهم في قتل والده! قد يحمل هذا الموقف دلالات رمزية، فالمقصود هو نبذ الضعف والمرهف، كي تبدأ الشخصية من جديد بداية قوية، لكن بشاعة الموقف من الناحية الإنسانية جعلت الدلالة الرمزية باهتة في اعتقادنا. (حمود، (1993): الموقف الأدبي).

إن عادل في حواره مع نفسه، يفكر حول المناضلين والمناضلات الفلسطينية مثل صالح، وإلياس، وحمزه الذين يسجنون، والمناضلات مثل أنطونة، ونائلة، ويسرى، وأمل، وفتحية، ومريم اللواتي يشاركن في الفعاليات ضدالصيهونية، ويشاركن في المقاومة ضد العدو الغاصب. هذه العبارة تدل على أن المرأة، ودورها في المقاومة لاتقل عن دور الرجل، لأن حضور أسماء النساء المناضلات في إفكار عادل يدل على حضور، ومشاركة المرأة الفعالة في المقاومة. وعادل يلوم نفسه، ويقول إنه حتى الآن ردد شعاراً حول المقاومة، ولم تدخل في الحملات الفدائية، والعسكرية؛ في حين إخراج العدو الغاصب من الفلسطين لا يتحقق مع الشعار، بل يتطلب المناضلة العسكرية، والسياسية مع العدو. العبارة التالية تشير إلى هذا الموضوع:

ـ "صالح وإلياس وحمزة وأنطونة، ونائلة ويسرى وأمل وفتحية ومريم. وأنا هنا. وحدي. أطرز مسالك تل‌أبيب. وأردد كلمات لاجدوى لها أي صدى، الظلم المشترك. أطماع البرجوازية الإسرائيلية، استغلال الرأسمالية العالمية. وشلومو ضحية. حرية، إخاء. مساواة. عدالة. سلام تضيعنى واد سحيق. أنا أتكلم وأنا أسمع. والذين يسمعوا هم خلف جدران الزنزانات وأنا وحدي. أطرز مسالك تل بيب لعنة الله عليها من عيشة. لكني لست وحدي. أنا معهم. مع زهدي والرجال. ودوري ليس أقل من الأدوار الأخرى. حتى ولو يفهم الأغبياء" (خليفة، السابق، 91).

إن الحوار الداخلي الذي قد جاء في ختام الرواية على لسان عادل، يدل إن عادل في ختام الرواية يعتقد بالمقاومة العسكرية مع العدو، ويرى الحل الوحيد هو المناضلة السياسية، والعسكرية مع العدو الغاصب. لكن إنه يعتقد إن فتيات هذا البلد مثل نوار لا يعرفن من المقاومة إلا قراءة الكتاب، وترديد الشعارات حول المقاومة، والاحتلال، وما إلى ذلك. في حين المقاومة أمام العدو، يحتاج إلى المقابلة العسكرية مع العدو، والمناضلة السياسية، والحضور في الساحة، ولكن أخته لايعلم هذه الأمور. ولكن إنه يخاطب نفسه، ويقول كيف يتوقع من نوار أن تدافع عن فلسطين، ويشارك في المقاومة، وتكون مثل لينا التى تشارك في الفعاليات السياسية، وتقاوم من الوطن المحتل بكل وجودها، في حين إنه ليس مثل صالح، أخ لينا، الذى يسجن الآن في السجن الإسرائيلي. هذا الحوار الداخلي قد جاءت بصورة صريحة في العبارة التالية:

"فتيات هذه البلاد لايعرفن من الثورة إلا قراءة الكتب. ولكن هناك لينا ومثيلاتهم. لماذا لم تكن أختي مثل لينا؟ ولكن! كيف أطالبها بأن تكون مثل لينا ولاأطالب نفسي أن أكون كصالح" (السابق، 163).

5. نتيجة البحث

فيما سبق أشرنا إن موضوع رواية "الصبار" يدور حول هزيمة حزيران 1967، والمسائل التي أعقبت هذه الهزيمة في حياة العشب الفلسطيني بكل أبعادها السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية وألخ.

إن من أبرز هذه المسائل يمكن أن نشير إلى الانشقاق الذي أوجد في الساحة السياسية، والتناقض حول كيفية المواجهة مع العدو الغاصب، وانشق المجتمع الفلسطيني في منطقة قطاع غزة، والضفة، والفلسطين إلى حزبين متناقضين: حزب يرى الكفاح المسلح مع العدو المحتل هو الحل الوحيد لإخراج العدو من الوطن. يعد أسامة ممثل هذا الحزب. وحزب آخر يعتقد إن الحل الوحيد لإخراج العدو هو العمل الثقافي، والتنظيم السياسى، بتشكيل منظمات سياسية، واقتصادية، واجتماعية تهدف إلى تغيير الأوضاع لصالح الفلسطينيين دون أن سبب في الدمار، وقتل فلسطينيين. يكون عادل ممثل هذا الحزب في الرواية. إن سحر خليفه لترسيم هذا الخلاف، والانشقاق السياسى في فلسطين والمجتمع الفلسطيني كثيرا ما يلجأ إلى الحوار الداخلي لكي يرسم هذا الخلاف.

بما أن يعد أسامة وعادل من الشخصيات المحورية في الراوية، وممثلان الحزبين المتناقضين في المجتمع، إن السارد يجري معظم الحوار الداخلي في الرواية على لسان هذين الشخصين، لكي يرسم الخلاف

الموجود بينهما. وإنها قد أفلحت في ترسيم هذا الخلاف الموجود في المجتمع الفلسطيني في سبعينيات القرن العشرين.

من خلال تحليل الحوار الداخلي، ومضامينه في الراوية، عرفنا على المشاكل العديدة التي واجهت الشعب الفلسطيني إثر هزيمة 1967، ومن أهمها المسألة الاقتصادية التي سببت في عمل الشعب الفلسطيني في المصانع الإسرائيلية لأن الفقر، والجوع، و ما إلى ذلک أرغم الإنسان الفلسطيني لكي يعمل في إسرائيل.

المصادر

- ابوبشير، بسام (2007) على جماليات المكان فى رواية "باب الساحة" لسحر خليفة. مجلة الجامعة الاسلامية (سلسلة الدراسات الانسانية) المجلد الخامس عشر. العدد الثانى. ص 267 - 285.

- برادة، محمد (1996) أسئلة الرواية. أسئلة النقد. ط1. منشورات الرابطة. الدار البيضاء

- الجيوسي، سلمى الخضراء: مقدمة "الأدب الفلسطيني" في العصر الحديث. وفا وكالة الأنباء في العصر الحديث. http://www.wafainfo.ps/atemplate.aspx?id=2482

- ـــــ ، ـــــــــ (1997م.) موسوعة الادب الفلسطينى المعاصر. ج 2 (النثر). ط 1. بيروت. المؤسسة العربية للدراسات و النشر.

- حسن، عمرُ عبيد(2004) الخطاب الغائب. ط 1. بيروت. المكتب الإسلامي.

- حمود، ماجدة (1993) الخطاب الروائي عند سحر خليفة. دمشق. اتحاد الكتاب العرب. العدد 272.كانون الأول.

- خليفة، سحر (1999) الصبار. الطبعة الثانية. بيروت. منشورات دار الآداب.

- الزجاجي، باقر جواد (1980) الرواية العراقية و قضية الريف. بغداد. دار الرشيد للنشر.

- زيدان، جوزيف (1990) مصادر الأدب النسائي. ط 1. بيروت. المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

- سعيد، إدوارد (2006) الثقافة والمقاومة. ترجمة: علاء الدين أبوزينة. الطبعة الأولى. بيروت. دار الآداب.

- شريف‌عسكرى، محمدصالح و همكار (1390) مفهوم الوطن و تجليات الوطنية و الوحدة عند سحر خليفة من خلال ثنائيتها: الصبار و عبادالشمس. مجلة بحوث فى اللغة العربية و آدابها بجامعة اصفهان. العدد 4. ص 65 - 80.

- العامري، محمد الهادي (2000) القصة التونسية القصيرة. تونس. دار بوسلامة للطباعة والنشر.

- عبدالله، محمد حسن (1989) الريف في الراوية العربية. كويت. عالم المعرفة.

- عزم، احمدجميل (1993) روايات سحر خليفه ... اظطهاد المرأة الفلسطينية. مجلة الحرية الفلسطينية. العدد 272.

- فضل الله، ابراهيم (2005) موسوعة السرد العربى. الطبعة الأولى. بيروت. المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

- الكردي، عبدالرحيم. (2006) السرد في الرواية المعاصرة. الطبعة الاولي. مكتبة الآداب. القاهرة.

- ميرزايى، فرامرز. (2011) "الخصائص السردية و جمالياتها فى رواية "الصبار" لسحر خليفة". مجلة جامعة ابن رشد. العدد الثانى. ص 52 - 78.

- نجم، محمد يوسف. (1996) فن القصة. ط 1. بيروت. دار صادر.